كتاب دانيال - رقم مئة وثلاثة وسبعون

ظلال البابوية: كشف التأثير والنوايا وراء «بابا هتلر»

Jeff Pippenger

2024-04-03

في الكتاب المعنون «بابا هتلر»، يبدأ المؤلف جون كورنويل قصة البابا المستقبلي الذي حكم حين كان هتلر يحكم ألمانيا، بذكر جدّه والبابا بيوس التاسع، اللذين أُخرجا من مدينة روما. وعندما فرّ بيوس التاسع من مدينة روما متنكراً في زي راهبة، كان الرجل الوحيد الذي اصطحبه معه هو جدّ ذلك البابا المستقبلي. ويتناول كورنويل العلاقة الوثيقة بين الرجلين، ثم يبيّن بعد ذلك كيف كان والد البابا المستقبلي أيضاً مرتبطاً بمركز القوة في الكنيسة الكاثوليكية. وبذلك يحدد البيئة الاجتماعية والسياسية والدينية للتاريخ منذ زمن بيوس التاسع وحتى الحرب العالمية الثانية. وهذه النظرة العامة إلى التاريخ غنية بالمعلومات إلى حدّ بعيد.

> اتُّخذت خطوة أخرى في ادعاء السلطة البابوية، حين أعلن البابا غريغوريوس السابع، في القرن الحادي عشر، كمال الكنيسة الرومانية. ومن بين المقولات التي طرحها واحدة تقضي بأن الكنيسة لم تخطئ قط، ولن تخطئ أبداً، بحسب الكتاب المقدس. غير أن الأدلة الكتابية لم تُرفَق بهذا الادعاء. كما زعم ذلك الحبر المتعاظم امتلاكه سلطة خلع الأباطرة، وصرّح بأن أي حكم يصدره لا يمكن لأحد نقضه، بل إن من صلاحياته نقض أحكام جميع الآخرين.
>
> وقد تجلّى مثال صارخ على الطابع الاستبدادي لهذا الداعي إلى العصمة في معاملته للإمبراطور الألماني هنري الرابع. إذ أُعلن حرمان هذا الملك وخلعه من العرش لتجرّئه على تجاهل سلطة البابا. ومذعوراً من تخلي أمرائه عنه وتهديداتهم، وقد شجّعهم المرسوم البابوي على التمرّد عليه، رأى هنري لزوم استرضاء روما. فبرفقة زوجته وخادم أمين، عبر جبال الألب في منتصف الشتاء لكي يتذلل أمام البابا. ولما بلغ القلعة التي اعتزل إليها غريغوريوس، سيق، من دون حراسه، إلى ساحة خارجية، وهناك، في برد الشتاء القارس، ورأسه حاسر وقدماه حافيتان، وفي لباس بائس، انتظر إذن البابا بالمثول بين يديه. ولم يتفضّل الحبر الأعظم بمنحه الغفران إلا بعد أن أمضى ثلاثة أيام صائماً ومعترفاً. ومع ذلك، فلم يكن ذلك إلا بشرط أن ينتظر الإمبراطور مصادقة البابا قبل استعادة الشارات أو ممارسة السلطة الملكية. وتباهى غريغوريوس، منتشياً بانتصاره، بأن من واجبه تحطيم كبرياء الملوك. الصراع العظيم، 57.

كان غريغوريوس السابع "من دعاة العصمة"، لكن الادعاء السخيف لم يصبح عقيدة رسمية (دوغما) إلا مع بيوس التاسع، الذي جعل ذلك الادعاء الأحمق عقيدة مقررة في المجمع الفاتيكاني الأول. وقد أُقرت العقيدة في 18 يوليو/تموز 1870، قبل أول خيبة أمل للـ144 ألفاً بمئة وخمسين سنة في اليوم نفسه.

اللافت في التاريخ أنه عندما نظّم بيوس التاسع المجمع الفاتيكاني الأول وطبّق عقيدة العصمة البابوية، كان دافعه نابعاً من كراهيته لما كان يُسمّى «الحداثية». لم تكن متجذّرة في فكرة أن البابا لا يمكن أن يخطئ عند تعريف العقائد الكتابية، بل كانت دفاعاً عن موقف البابوية المعارض للتأثير الذي أحدثته الثورة الفرنسية. وكان ذلك موجّهاً ضد ما سيُعرَف في نهاية المطاف بالشيوعية.

أحدثت الثورة الفرنسية اضطراباً عميقاً في بنية الحكم في الدول الأوروبية، مع كراهية خاصة للملكية المتمثلة في البابوية. وكانت ثورة جمهورية إيطالية قد طردت مؤقتاً بيوس التاسع وذراعه اليمنى من روما. إن «الحداثية»، التي تمثلت في الفلسفات المتعددة التي أفرزتها الثورة الفرنسية، كانت العدو

اللدود لبيوس التاسع، وقد صُممت عقيدة العصمة لديه لتعضيد كل ادعاء يطلقه البابا ضد الأفكار الحداثية التي أفرزتها الثورة الفرنسية.

يشير سفر دانيال، الإصحاح الحادي عشر، الآية الأربعون، إلى أنه في عام 1798، ألحق ملكُ الجنوب (فرنسا الملحدة) الجرحَ المميت بملك الشمال (البابوية).

كان مذهب بيوس التاسع في العصمة مرتبطًا بالحرب المُمثّلة في الآية الأربعين من دانيال الحادي عشر، ومن أواخر سنة 1869 إلى السنة التالية دعا بيوس التاسع إلى انعقاد المجمع الفاتيكاني الأول، المعروف باسم الفاتيكان الأول، بغرض تأكيد أن البابا هو رأس الكاثوليكية، وأن الكاثوليكية هي رأس جميع الكنائس، كما كان قد أُعلن في مرسوم جستنيان سنة 533.

عُقد المجمع الفاتيكاني الثاني، المعروف أيضاً باسم الفاتيكان الثاني، بين عامي 1962 و1965. وكان حدثاً مفصلياً في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، وأحد أهم المجامع المسكونية في العصر الحديث. انعقد المجمع تحت قيادة البابا يوحنا الثالث والعشرين، واستمر خلال الحبرية البابوية للبابا بولس السادس بعد وفاة يوحنا الثالث والعشرين عام 1963. ومن المهم إدراك الاختلاف الواضح بين هذين المجمعين.

كان الهدف من المجمع الأول هو إرساء ما يُسمّى «الأولوية» للبابا، أي إنّ البابا هو الحاكم الأعلى والمعلّم والراعي للكنيسة، والمسؤول عن صون عقائد الإيمان وتفسيرها. وكانت سلطته تتمثّل في تحديد العقائد الإيمانية، وإصدار المراسيم العقائدية، وإطلاق التصريحات السلطوية في مسائل الإيمان والأخلاق، وهو ما يُعرف بعصمة البابا. وتشمل هذه السلطة أيضًا الولاية القضائية للبابا على الكنيسة الجامعة، بما في ذلك سلطة تعيين الأساقفة، وتنظيم الأسرار المقدسة، وتدبير إدارة الكنيسة.

كان هدف المجمع الثاني إعادة توجيه الكنيسة نحو كيان مسكوني. كان المجمعان يعكسان أطروحتين متناقضتين تمامًا. فقد ناقض المجمع الثاني الليبرالي المجمع الأول المحافظ. كان هذان الفصيلان مختلفين كاختلاف الليل والنهار، وتشير النبوءة المنسوبة إلى الأسرار الثلاثة لفاطيما إلى حرب داخلية يمثّلها هذان المجمعان تمثيلًا مناسبًا.

تحدد النبوءة فئة تؤيد الرياسة البابوية كما مثلها بيوس التاسع، ويُشار إليها بما يُسمى "البابا الأبيض" أو "البابا الطيب" أو "الأسقف الطيب"، وفئة أخرى مرتبطة بالمجمع الفاتيكاني الثاني، يُمثّلها "البابا الأسود" أو "البابا السيئ" أو "الأسقف السيئ". ويتجلى الجدل بين المفهومين السياسيين عندما تزور مزار معجزة فاطيما في فاطيما، البرتغال. عند الدخول، يمتد الممر بين تمثال لبابا أسود من جهة وتمثال لبابا أبيض من الجهة الأخرى.

وعليه، فإن مما يشكّل إرث الرجل الذي سيصبح في نهاية المطاف ما يسميه الكتاب بـ"بابا هتلر" أن جذوره متشابكة في الصراع بين الحداثة (ملك الجنوب) وأولوية البابا (ملك الشمال).

ينبغي أن يُفهَم أن مؤلف الكتاب الذي نحن بصدد النظر فيه كان كاثوليكيًّا حسن السمعة، وأن غايته المعلنة من تأليف الكتاب كانت إلقاء الضوء على الزعم القائل إن البابا الذي حكم خلال الحرب العالمية الثانية كان قد أيّد هتلر أو النازيين، أو كان عليه أي قدر من المسؤولية في المحرقة التي ارتُكبت ضد اليهود وغيرهم. وحين يتناول كورنويل جدّ بيوس الثاني عشر، الذي كان الرجل الأيمن الذي رتّب انعقاد مجمع الفاتيكان الأول، فإن تاريخ الصراع بين ملوك الجنوب والشمال يجري تمثيله في ذلك التاريخ عينه. وعندما بلغت ثورة «الجمهورية» إيطاليا، قام الإيطاليون، لمدة تقارب سنة واحدة، بطرد بيوس التاسع من مدينة روما، ومنذ ذلك الحين، حتى بعد عودته، لم يعد كل ما امتلكته البابوية سوى المئة والعشرة أفدنة المعروفة باسم مدينة الفاتيكان.

إن السبيل الوحيد الذي مكّنه أصلًا من العودة إلى الفاتيكان كان بمساعدة القوات الفرنسية، وبقرض من آل روتشيلد، المصرفيين اليهود سيئي الصيت. ولكي يُفهم على نحوٍ واعٍ تواطؤُ البابوية في الهولوكوست خلال الحرب العالمية الثانية، لا بد من قدرٍ أساسي من الفهم لموقف أوروبا من اليهود منذ صلب المسيح. ويقترح الكتاب أن معاداة السامية والعنصرية موقفان مختلفان، إذ يزعم أن كراهية هتلر لليهود كانت عنصرية، لأن هتلر كان ينظر إلى اليهود على أنهم فئة أدنى من البشر، في حين أن معاداة السامية كانت كراهية اليهود لأنهم قتلوا الله. وسواء أكانا شيئًا واحدًا بعينه، أم كان هناك بالفعل تمييز بينهما، فإن حقيقة محنة اليهود جديرة بأن تُفهم.

فعلى سبيل المثال، في أمريكا اليوم، إذا استُخدمت كلمة «غيتو»، فإن معظم الناس يظنون أنها تعني الحيّ الفقير المتداعي من المدينة. غير أن مصطلح «غيتو» كان يشير في الأصل إلى قسم من المدينة، ولا سيما في البندقية بإيطاليا، حيث أُجبر اليهود على السكنى خلال العصور الوسطى. وقد أُنشئ أول غيتو في البندقية سنة 1516، حين حصرت الجمهورية البندقية اليهود في منطقة محددة من المدينة كانت تُعرف باسم «غيتو نوفو» (المسبك الجديد)، والتي عُرفت في ما بعد باسم الغيتو.

في أوروبا طوال العصور الوسطى، فُرضت على اليهود قيود على أماكن إقامتهم، وكذلك على المهن التي سُمح لهم بمزاولتها. وكانت هذه القيود تستند إلى التعريف القديم لمعاداة السامية، الذي يشير إلى الاعتقاد بأن اليهود قد قتلوا الله، وأن جميع مشاكلهم اللاحقة كانت نتيجة أفعالهم هم.

في العصور الوسطى، كان من التقاليد الراسخة أن المسيحيين لم يكن يجوز لهم إقراض المال أو تقاضي الفائدة على القرض. وكان اليهود معفيين من ذلك القيد، وأصبح إقراض المال واحدًا من المهن التي كان يُسمح لليهود بمزاولتها. وكان المصرفيون اليهود، مثل عائلة روتشيلد، هم الصيارفة بحكم القيود القانونية المفروضة على المهن التي كان يُسمح لهم بممارستها. وحين احتاج بيوس التاسع إلى أموال ليعود إلى الفاتيكان، تضاعف إحباطه من كونه لم يعد يحكم مدينة روما بسبب اضطراره إلى اللجوء إلى اليهود طلبًا للمال.

قبل أن يُطرَد بيوس التاسع من روما، كان يبدو أنه ينتمي إلى أحد معسكرين فيما يتعلّق باليهود وبعلاقة الكنيسة باليهود. وكان المعسكران يتألّفان من أولئك الذين كانوا يعتقدون أن اليهود، مهما يكن ما يحدث لهم، إنما ينالون ببساطة ما يستحقّونه، ومن المعسكر الآخر الذي كان يميل إلى إظهار شيء من الرحمة تجاه اليهود. ولما عاد بيوس التاسع إلى الفاتيكان بعد طرده، فإن الرحمة التي كان قد أظهرها أحيانًا قبل منفاه لم تظهر مرة أخرى قط. وقبل منفاه كان قد أغلق الحيّ اليهودي في مدينة روما، وبعد عودته أعاد إنشاء الحيّ اليهودي، وبدأ يفرض ضرائب على اليهود من أجل تعويض خسائره المالية.

كان ذراع البابا بيوس التاسع اليمنى ماركانتونيو باتشيلي، جدّ بابا هتلر. كان محامياً ينتمي إلى فئة خاصة من المحامين الذين يدعمون البابوية. وقد أصبح ابنه جزءاً من تلك الفئة النخبوية نفسها من المحامين، وكذلك حفيده، الذي سيصبح في نهاية المطاف بابا هتلر. بعد أن يستعرض الكتاب تاريخ جدّ إوجينيو باتشيلي ووالده، وشبابه وتعليمه، يتناول المنصب الذي تولّاه باتشيلي عندما بدأ عمله لصالح البابوية. وباعتباره محامياً منحدراً من نخبة المحامين البابويين، اختير ليرأس قسماً متخصصاً في العقود، التي تُسمّى الاتفاقات. في عام 1901 أُلحق باتشيلي بمكتب أمانة سرّ الدولة البابوية.

أصبح باتشيلي مبعوثاً إلى الأمم. وعلى نحو نبويّ أصبح باتشيلي حلقة الوصل القانونية التي أتمّت زنى ملوك الأرض مع البابوية. في عام 1903، تُوِّج بيوس العاشر بابا. وبادر فوراً إلى مهاجمة "السمّ الفكري" الذي أنتج "النسبية والشكّ". الرجل الذي قاد مسعى بيوس العاشر لاستئصال "الحداثة" كان أومبرتو بنيني، الذي كان يعمل في المكتب نفسه الذي كان يعمل فيه باتشيلي. وقد صرّح بنيني مرةً عن مجموعة من المؤرخين من الطراز العالمي بأنهم رجالٌ بالنسبة إليهم، "التاريخ ليس إلا محاولة

مستمرة يائسة للتقيؤ. ولهذا الصنف من البشر علاج واحد فقط: محاكم التفتيش!" وبالنسبة لبنييني، فإن أي مؤرخ يُبدي تعاطفاً مع الأفكار التي جاءت من الثورة الفرنسية ينبغي أن يُعدم.

رسمياً، كان بينيني يدير وزارة الدعاية التابعة للبابوية، لكن بشكل غير رسمي كان يدير أيضاً شبكة تجسس سرية صُمّمت للتعرّف على أي كاثوليك لديهم تعاطف مع "الحداثة" التي نشأت مع ملك الجنوب. وفي نهاية المطاف، في عام 1910، أثمر عمله توجيهاً ألزم موظفي البابوية بأداء قسم يُسمّى القسم المناهض للحداثة. ولا يزال هذا القسم سارياً. ولكي تُوظّف في الفاتيكان، يجب أن تحلف على كراهية الأفكار الحداثية، وهي ما نسميه اليوم أفكاراً شيوعية.

في ملخص كتاب كرونويل، يرد على الصفحة الداخلية للغلاف ما نصه: "في العقد الأول من القرن، وبصفته محامياً شاباً لامعاً في الفاتيكان، ساعد باتشيلي في صياغة أيديولوجيا لسلطة بابوية غير مسبوقة؛ وخلال عشرينيات القرن العشرين استخدم الدهاء والابتزاز لفرض السلطة في ألمانيا. في عام 1933، أصبح هتلر شريكه المثالي في التفاوض وتم إبرام اتفاق يمنح الكنيسة الكاثوليكية امتيازات دينية وتعليمية مقابل انسحاب الكاثوليك من العمل الاجتماعي والسياسي. هذا 'التنازل' الطوعي عن الكاثوليكية السياسية المفروض من روما سهّل صعود النازية."

في اجتماع لمجلس الوزراء في 14 يوليو 1933، أعرب أدولف هتلر عن رأيه في ذلك الشهر نفسه بأن الاتفاقية التي صاغها باتشيلي مع النازيين قد أوجدت لألمانيا "مجالاً من الثقة.... في الصراع المتنامي ضد اليهودية الدولية."

لم يحظَ كتاب كورنويل بقبولٍ حسن لدى الكاثوليك الذين رفضوا قبول الأدلة على أن باتشيلي كان السبب الرئيسي في تمكّن هتلر من الصعود إلى السلطة، إذ كانت ألمانيا ذات أغلبية كاثوليكية. وكان باتشيلي قد أبرم اتفاقًا حال دون أن تقول دار النشر الكاثوليكية، ووكالات الأنباء الكاثوليكية، والمدارس الكاثوليكية، أيّ شيء عن توجّه هتلر ابتداءً من عام 1933 فصاعداً. ويتتبّع الكتاب المنحى المعادي للسامية الواضح لدى باتشيلي، الذي أصبح بعد ذلك البابا خلال الحرب العالمية الثانية. ويمكن إثبات ثلاث نقاط على الأقل من الكتاب استناداً إلى مصادر تاريخية موثوقة جداً.

الأول هو حرب ملك الشمال وملك الجنوب، كما هي ممثّلة في الأصحاح الحادي عشر من سفر دانيال. وفي تلك الحرب يكون الأعداء هم الكاثوليكية في مواجهة الإلحاد، والبابا في مواجهة الشيوعية. والنقطة الأخرى هي أن البابا استخدم النازية جيشاً وكيلاً له ضد الإلحاد أثناء الحرب العالمية الثانية، تماماً كما استخدم البابا البروتستانتية المرتدّة سنة 1989 جيشاً وكيلاً له ضد إلحاد الاتحاد السوفييتي. كما يحدِّد الكتاب البنية النبوية الداخلية والخارجية التي تمثّلها الرسائل الشيطانية التي صدرت عن المعجزة في فاطيما.

إن حرب رافيا الحدودية، الممثّلة في العددين الحادي عشر والثاني عشر من دانيال 11، تمثّل الحرب الحدودية الجارية حالياً في أوكرانيا. كانت الحرب القديمة حرباً ساخنة، أمّا الثانية فهي الحرب الثانية بالوكالة، حيث تنخرط الجيوش الوكيلة في مواجهة قاتلة. وتُعرّف رافيا الحرب الحدودية بأنها بين ملك الشمال وملك الجنوب، غير أنّ النبوة تعلِّم أنه إلى أن يأتي قانون الأحد عمّا قريب، فإن زانية صور تكون منسيّة، وإيزابل تكون في السامرة، وهيروديا قد تغيب عن حفلة عيد ميلاد هيرودس. وهذه الشهود الثلاثة على دور ملك الشمال في هذا التاريخ الحاضر، هي أنها تقف وراء الكواليس تحرّك الخيوط. أمّا الحروب الساخنة، والحروب بالوكالة، والحروب الباردة التي تحدث بينما تكون منسيّة، فإنما تُنجَز بواسطة جيوشها الوكيلة.

روسيا هي ملك الجنوب، وهي الآن منخرطة في حرب على حافة الهاوية يجري تمويلها من قِبَل العولميين في العالم الغربي، ولا سيما الديمقراطيين التقدميين وجمهوريي RINO (الجمهوريون

بالاسم فقط) في الولايات المتحدة. وعندما تُمثّل الولايات المتحدة في العدد الأربعين من دانيال الحادي عشر بوصفها جيشاً بالوكالة لملك الشمال، فإن صفتيها النبويتين هما القوة العسكرية والقدرة المالية. وتُنجز الولايات المتحدة في أوكرانيا العمل نفسه الذي أنجزته سنة 1989، إذ تساعد البابا ضد روسيا، كما أن الجيش الوكيل على الأرض، المدافع عن أوكرانيا، مملوء إلى حدٍّ كبير بمؤيدي النازية حتى إن وسائل الإعلام السائدة لا تستطيع إنكار ذلك. وروما تستخدم الآن جيوش الوكالة نفسها التي استخدمتها في الحرب الساخنة التي كانت الحرب العالمية الثانية، وفي سنة 1989، لمحاربة روسيا. اقرأ الكتاب: بابا هتلر، التاريخ السري لبيوس الثاني عشر.

سنواصل هذه الدراسة في المقالة التالية.

وبالمثل، حين كان الله مزمعاً أن يفتح أمام يوحنا الحبيب تاريخ الكنيسة للأزمنة المقبلة، أعطاه تأكيداً على اهتمام المخلّص ورعايته لشعبه بإعلانه له «واحداً شبيهاً بابن الإنسان» يمشي بين المنائر التي رمزت إلى الكنائس السبع. وبينما أُري يوحنا آخر الصراعات العظيمة للكنيسة مع القوى الأرضية، أُذن له أيضاً أن يعاين النصر النهائي وخلاص الأمناء. فقد رأى الكنيسة تدخل في صراع مميت مع الوحش وصورته، وتُفرض عبادة ذلك الوحش تحت طائلة الموت. لكنه، إذ نظر إلى ما وراء دخان وضجيج المعركة، أبصر جماعة على جبل صهيون مع الخروف، ولهم، بدل علامة الوحش، «اسم الآب مكتوباً على جباههم». ورأى أيضاً «الذين غلبوا الوحش وصورته وعلامته وعدد اسمه واقفين على بحر من زجاج ومعهم قيثارات الله» يرنّمون ترنيمة موسى والخروف.

هذه الدروس لمنفعتنا. نحن بحاجة إلى أن نثبّت إيماننا بالله، لأن أمامنا زمناً سيختبر نفوس الناس. استعرض المسيح، على جبل الزيتون، الدينونات المخيفة التي كان من المزمع أن تسبق مجيئه الثاني: "سوف تسمعون بحروب وأخبار حروب." "تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن شتى. كل هذه بداية الأوجاع." وبينما نالت هذه النبوات تحقيقاً جزئياً عند خراب أورشليم، فإن لها انطباقاً أكثر مباشرة على الأيام الأخيرة.

نحن نقف على عتبة أحداث عظيمة ومهيبة. النبوءات تتحقق بسرعة. الرب على الأبواب. ستنفتح قريباً أمامنا فترة بالغة الأهمية لكل الأحياء. ستُبعث من جديد نزاعات الماضي، وستنشأ نزاعات جديدة. إن المشاهد التي ستجري في عالمنا لم تخطر حتى على بال. الشيطان يعمل من خلال أدوات بشرية. الذين يسعون إلى تغيير الدستور واستصدار قانون يفرض حفظ يوم الأحد لا يدركون ما ستكون عليه العواقب. أزمة قد أحدقت بنا.

لكن خدام الله لا ينبغي لهم أن يعتمدوا على أنفسهم في هذه الأزمة العظيمة. في الرؤى التي أعطيت لإشعياء وحزقيال ويوحنا نرى مدى ارتباط السماء الوثيق بالأحداث الجارية على الأرض، ومدى عناية الله العظيمة بالذين هم أمناء له. العالم ليس بلا حاكم. إن مسار الأحداث المقبلة في يد الرب. جلال السماء يتولى مصير الأمم، كما يتولى شؤون كنيسته، بنفسه. الشهادات، المجلد الخامس، 752، 753.